

حقيقة قصة غدِير حُم

(بحث علمي حديثي تاريخي)

بقلم / محمد بن علي المطري

غَدِيرُ حُم هو: موضع بين مكة والمدينة، وهو واد عند الجحفة به غدِير، يقع شرق رابغ بما يقرب من (٢٦) كيلاً، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير، والغدير هو: مستنقع من ماء المطر.

وسبب القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ليخمس الغنائم ويقبض الخمس، فلما خمس الغنائم، كانت في الغنائم امرأة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخمس، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل من الجنابة، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها، فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعله علي مع الوصيفة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا بُرَيْدَةُ أَتُبَغِضُ عَلِيًّا؟» فقال: نَعَمْ،

قَالَ: «لَا تُبَغِضُهُ فَإِنَّ لَهُ فِي الْخُمْسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». رواه البخاري في صحيحه (٤٣٥٠).

فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم، وساق معه الهدي كما رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢٨١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم. ذكره ابن هشام في السيرة (٦٠٣/٢).

وروى البيهقي في دلائل النبوة (٣٩٨/٥) وصححه ابن كثير في البداية والنهاية (١٠٦/٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى اليمن، فكنت ممن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة سأله أن نركب منها ونريح إبلنا، فكنا قد رأينا في إبلنا خللا، فأبى علينا، وقال: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين. قال: فلما فرغ علي، وانطلق من اليمن راجعا أمّر علينا إنسانا وأسرع هو فأدرك الحج، فلما قضى حجته قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم، قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي أستخلفه ما كان علي منعنا إياه نفعل، فلما جاء عرف في إبل الصدقة أن قد ركبت، رأى أثر المركب، فذم الذي أمره ولامه، قال: فذكرت لرسول الله ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، ثم قال: مه، بعض قولك لأخيك علي، فو الله لقد علمت أنه أخشن في سبيل الله، قال: فقلت في نفسي: لا جرم والله لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية.

■ وإذا عرف سبب القصة ظهرت الحقيقة واضحة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل علياً رضي الله عنه إلى اليمن قبل

خروجه من المدينة لحجة الوداع، وفي سفره هذا حصلت ثلاثة أمور
وجد أصحاب علي في أنفسهم عليه بسببها، وهي ما يلي:

(١) غنم المسلمون غنيمة وفيها جارية جميلة، ولما قسم علي الغنيمة
وقعت الجارية في سهمه فتسرى بها، فأنكر عليه أصحابه .

(٢) ذهب علي رضي الله عنه إلى الحج واستخلف على أصحابه
رجالاً، وعمد ذلك الرجل وكسا كل واحد من أصحابه حلة من الثياب
التي كانت مع علي، ولما دنا الجيش من مكة وخرج علي ليلقاهم فإذا
عليهم حلل فغضب عليهم وانتزعها منهم فأظهر الجيش شكواه.

(٣) عندما رأى أصحاب علي رضي الله عنه أن في إبلهم ضعفاً
طلبوا منه أن يركبوا إبل الصدقة ويرجحوا إبلهم، فأبى ذلك، ولما ذهب
علي للحج أعطاهم ذلك من استخلفه عليهم، وعندما لقيهم علي
رضي الله عنه لام خليفته على تركه الجيش يركب إبل الصدقة، فعدوا
ذلك غلظة من علي وتضييقاً عليهم.

فبسبب هذه الأمور الثلاثة كثر القيل والقال بين أهل المدينة في
علي رضي الله عنه، ولم يرد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبرئ ساحة
علي رضي الله عنه أثناء موسم الحج؛ لأن الحادثة تخص الصحابة الكرام
الذين هم من أهل المدينة، وبعد فراغه صلى الله عليه وسلم من الحج،

وأثناء عودته إلى المدينة، قام في الناس خطيباً في ذلك المكان الذي يدعى غدِير خَم، فبرأ ساحة علي رضي الله عنه، ورفع من قدره، ونبه على فضله، ونوه بشأنه؛ ليزيل ما وقر في نفوس الصحابة الذين كانوا معه في اليمن، ولو أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ المسلمين بالوصية لعلي بالخلافة بعده، لفعل ذلك في أثناء الحج وفي يوم عرفة والناس مجتمعون ولم يؤجله إلى بعد الحج.

■ وقد اتفق المحدثون والمؤرخون أن هذه الخطبة كانت في غدِير خُم أثناء عودة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، ومما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهو حديث متواتر رواه أحمد بن حنبل في المسند (٦٤١) عن عدة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ورواه الترمذي (٣٧١٣) وابن ماجه (١٢١) وغيرهم بأسانيد صحيحة.

وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدِير خَم ما سمع، لما قام فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: " أتعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ " قالوا: نعم يا رسول الله، قال: " من كنت مولاه فعلي

مولاه" رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩٣٠٢) والنسائي في السنن الكبرى (٨٤٢٤) وابن حبان في صحيحه (٦٩٣١)، وهو حديث صحيح له أسانيد كثيرة جمعها المحدث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٥٠).

وفي صحيح الإمام مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى حُما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

ومعنى قوله: " أذكركم الله في أهل بيتي " أي في الوصية بهم واحترامهم، وعدم ظلمهم وترك بغضهم، وكرهه ثلاثاً للتأكيد ، قال العلامة علي القاري في مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٩٦٧): " المعنى أنبهم حق الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم وإكرامهم ومحبتهم ومودتهم،

وقال الطيبي: أي: أحذركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم: اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم".

قال ابن تيمية في منهاج السنة (٤/٨٤-٨٥): "ليس في حديث الغدير ما يدل على أنه نص على خلافة علي، إذ لم يرد به الخلافة أصلاً، وليس في اللفظ ما يدل عليه، ولو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بيناً".

وقال أبو نعيم الأصبهاني في تثبيت الإمامة ص ٥٥: "هذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعناه: من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولاه فعلي والمؤمنون مواليه، دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض}، وقال: {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض}. والولي والمولى في كلام العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى: {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم} أي لا ولي لهم، وقال: {فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين}، وقال الله: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}، وقال: {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}".

وقال البيهقي في الاعتقاد ص ٣٥٤ : "وأما حديث الموالاتة فليس فيه نص على ولاية علي بعده، فمقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك هو أنه لما بعثه إلى اليمن وكثرت الشكاة منه وأظهروا بغضه؛ أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته، فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً لا يعادي بعضهم بعضاً، وهو في معنى ما ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ أنه لا يجنبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)". انتهى مختصراً.

وقال المؤرخ الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٢٥/٧): "وأما ما يفتره كثير من جهلة الشيعة أنه أوصى إلى علي بالخلافة فكذب وبهت وافترء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالاتهم بعده على ترك تنفيذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره لا لمعنى ولا لسبب".

وقال إحسان إلهي ظهير في كتابه السنة والشيعة ص ٢٧ : "عقيدة الوصاية والولاية لم يأت بها القرآن ولا السنة الصحيحة الثابتة، بل

اختلقها اليهود من وصاية يوشع بن نون لموسى، ونشروها بين المسلمين باسم وصاية علي كذبا وزورا وبهتاناً؛ كي يتمكنوا من زرع بذور الفساد بين المسلمين " انتهى مختصرا.

■ ومن الافتراء على الله تفسير قوله تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم } بأنها نزلت في غدیر خم لتبين للناس أن الدين قد اكتمل بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بالإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب! والمعروف عند المفسرين والمحدثين أنها نزلت في حجة الوداع في يوم عرفة لتبين للناس أن الله سبحانه وتعالى أكمل لهم دينهم كما ذكر ذلك إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٥١)، وروى البخاري ومسلم من طريق طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال: { اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً } [المائدة: ٣] ، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، «نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة».

■ ومن الأحاديث الموضوعة ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه. قال الفتني الملقب بملك المحدثين في كتابه تذكرة الموضوعات ص ٨٤: "هذا موضوع بالاتفاق"، وقال قاضي قضاة اليمن الحافظ الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١٦: "ما يذكره الرافضة في تفاسيرهم من الأكاذيب في تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} أنها في علي رضي الله عنه؛ موضوع بلا خلاف" وقال ابن كثير في تفسيره (١٣٩/٣): "ليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها".

والصواب أن الآية عامة في كل من آمن ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، قال الشوكاني في تفسيره فتح القدير (٥٩/٢): "وقوله: {وهم راعون} جملة حالية من فاعل الفعلين اللذين قبله" أي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والحال أنهم راعون، قال: "والمراد بالركوع: الخشوع والخضوع، أي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم خاشعون خاضعون لا يتكبرون" ثم رد القول بأن

المراد إخراج الزكاة حال الركوع في الصلاة بقوله: " ويدفعه عدم جواز إخراج الزكاة في تلك الحال".

وقال السعدي في تفسيره: " {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين، أخبر تعالى مَنْ يجب ويتعين توليه، وذكر فائدة ذلك ومصالحته فقال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى. فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا، ومن كان وليا لله فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهرا وباطنا، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم. وقوله: {وَهُمْ رَاكِعُونَ} أي: خاضعون لله ذليلون. فأداة الحصر في قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم".

■ هذا وإن من البدع المحدثّة في الإسلام الاحتفال بما يسمى عيد الغدير، فإن هذا العيد لا يعرف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أصحابه ولا التابعين ولا أتباعهم، ولا عمله علي بن أبي طالب ولا الحسن ولا الحسين ولا علي بن الحسين ولا محمد الباقر ولا زيد بن علي ولا جعفر الصادق ولا أحد من علماء أهل البيت السابقين رضي الله عنهم، وإنما أحدث بعد القرون الثلاثة المفضلة كما ذكر ذلك المؤرخون الثقات، قال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (٢٤٥/٧): " وفي الثامن عشر من ذي الحجة - سنة ٣٥٢ - أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد، وأشعلت النيران، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل، كما يفعل ليالي الأعياد".

وقال مؤرخ الإسلام الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام (٦/٢٦): " وفي ثامن عشر ذي الحجة - سنة ٣٥٢ - عمل عيد غدير حُجْم".

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٦/١١): " وفي الثامن عشر من ذي الحجة - سنة ٣٥٢ - أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط، فرحا بعيد غدير خم، فكان وقتا عجيبا مشهودا، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة."

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٢٨٨: " وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ وصبوا القباب في الأسواق، وعلقوا عليها المسوح، وأخرجوا النساء منتشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين، وهذا أول يوم نبح عليه ببغداد، واستمرت هذه البدعة سنين، وفي هذه السنة عمل عيد غدِير خم" انتهى مختصراً.

وقال ابن العماد في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢٧٣/٤): " وفي سنة ٣٥٢ في ثامن عشر ذي الحجة عملت الرافضة عيد الغدير ".

وقال المقرئ في كتابه الخطط والآثار (٢٥٤/٢-٢٥٥): " اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة عليّ بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيداً".

■ وأول من احتفل بعيد الغدير في اليمن أحمد بن الحسن الجارودي سنة ١٠٧٣هـ كما ذكر هذا مؤرخ اليمن السيد يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم في كتابه بهجة الزمن ثم قال: "وقد اقتدى به

في الغدير المتوكل على الله، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة" انتهى.

وبعد، فإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم أَلف بين قلوب المسلمين على الحق المبين، وانصرهم على القوم الكافرين، والسلام على عباد الله الصالحين.